

آمنتُ بالْحُسَيْنِ

بقلم الشاعر العراقي الراحل محمد مهدي الجواهري -

فِداءٌ لَمَثْواكَ مِنْ مَضْجَعِ تَنْوَسٍ - بِالْأَبْلَاحِ الأروَعِ
بأعْبَقِ من زَفَحاتِ الجِنانِ رَوحاً ، ومن مَسْكِها أضع
ورَعياً لِيومِكَ يَوْمِ " الطُغُوفِ " وَسَقِيَا لأَرْضِكَ مِنْ مَصْرَعِ
وَحُزْنائِكَ بِحَبْسِ النُفُوسِ على نَهْجِكَ الذِّيبِ المَهْذِبِ
وَصَوْتائِكَ لِمَجْدِكَ مِنْ أنْ يُذالَ بما أنتَ تَأبَاهُ مِنْ مُبَدِّعِ
فِيها أَيْسُها الوِترُ فِي الخالِدِينَ - فذِئاً ، إلى الآنَ لَمْ يُشْفَعِ
وِيا عِظَةَ الطامِحِينَ العِظامِ لَلاهينَ - عَن غَدِهمْ قُنْذَعِ
تعاليتَ مِنْ مُفْزَعِ لَلْحَتُوفِ وَبُورِكَ قَبْرِكَ مِنْ مَفْزَعِ
تَلوُذِ الدُّهُورِ فَمِنْ سُجْدِ عَلى جَانِبِهِ ، وَمِنْ رُكُوعِ
شَمْتِ ثِراكِ فِهبِ - النَسِيمِ نَسِيمِ الكِرامَةِ مِنْ بَلْعِ
وَعَفْرتِ خَدِي بِحَيْثُ اسْتِراحَ خَدٌّ تَفَرَّسَى وَلَمْ يَضْرَعِ
وَحَيْثُ سَنابِكَ خَيْلِ الطِغاةِ جالَتْ عَليه وَلَمْ يَخْشَعِ
وَخِلاتُ وَقَد طارتِ الذِّكرياتُ بِروحي إلى عَالمِ أرفَعِ
وَطَفاتُ بِقَبْرِكَ طَوْفَ الخِيالِ بِصومعةِ المُلْهِمِ المُبَدِّعِ
كَأنَّ يَدائِ من وِراءِ الضِريحِ حِراءِ " مَبْتُورَةَ الإِصْبَعِ "
تَمُدُّ إلى عَالمِ بالخُنُوعِ وَالضِيمِ ذِي شَرِقِ مُتَرَعِ
تَخْبِطُ في غابَةِ أَطبِقاتِ عَلى مُذْئِبِ مِنْهُ أوْ مُسْبِغِ
لِتَبْدِيلِ مِنْهُ جَدِيبِ الضَمِيرِ بِأَخْرِ مَعْشُوشِيبِ مُمرِعِ
وتَدْفَعُ هَذي النُفُوسَ الصِغارَ خَوفاً إلى حَرَمِ أَمْنِغِ
تعاليتَ مِنْ صاعِقِ يَلتَظي فانْ تَدْجُ داجيةٌ يَلْمَعِ
تأرَمُ حِقْداً على الصاعقاتِ لَمْ تُنْءِ ضَيراً وَلَمْ تَنْدَفَعِ
ولَمْ تَبْذُرِ الحَبَّ - إِثرَ الهَشيمِ وَقَد حَرَّ قَتَتهُ وَلَمْ تَنْزَعِ
ولَمْ تُخْلِ أبراغِها فِي السَماءِ وَلَمْ تَأْتِ أَرْضاً وَلَمْ تُدْوَغِ
ولَمْ تَقْطَعْ الشَّرَّ - مِنْ جِذْمِهِ وَغِلا الضَمائِرِ لَمْ تَنْزَعِ
ولَمْ تَصُدِّمِ النَّاسَ فِما هُمُ عَليه مِنْ الخُلُقِ الأَوْضَعِ
تعاليتَ مِنْ " فَلَكَ " قُطْرِهِ يَدورُ عَلى المِجَورِ الأَوْسَعِ
فِيا بِنِ " البتولِ " وَحَسَبِي بِها ضَمائِنُ عَلى كُلِّ ما أَدَّعِي
وِيا بِنِ التي لَمْ يَضَعِ مِثْلُها كَمِثْلِكَ حَمَلاً وَلَمْ تُرْضَعِ
وِيا بِنِ البَطِينِ بلا بِطْنَةٍ وِيا بِنِ الفَتى الحاسِرِ الأَنْزَعِ
وِيا غُصْنِ " هاشِمِ " لَمْ يَنْفَتِحْ بِأَزهَرِ مِنْكَ وَلَمْ يُفْزَعِ
وِيا واصلِلاً مِنْ نَشيدِ " الخُلُودِ " خِتامِ القَصيدةِ بِالْمَطْلَعِ
يَسيرُ الوري بِرِكابِ الزمانِ مِنْ مُستَقِيمِ وَمِنْ اِطْلَعِ

وَأَنْتَ تَسِيرُ رُكْبَ الخلود ما تستَجِدُّ له يَتَّبِعُ
تَمَثَّلْتُ " يَوْمَكَ " فِي خَاطِرِي وَرَدَّتْ " صَوْتَكَ " فِي مَسْمَعِي
وَمَحَّصْتُ أَمْرَكَ لَمْ " أَرْتَهَبْ " بِنَقْلِ " الرُّوَاةِ " وَلَمْ أُخْدَعْ
وَقُلْتُ : لَعَلَّ دَوِيَّ السِّنِينَ بِأَصْدَاءِ حَادِثِكَ الْمُفْجِعِ
وَمَا رَتَّلَ المَخْلُصُونَ الدُّعَاءَ مِنْ " مَرْسَلِينَ " وَمِنْ " سُدُجِّعِ "

وَمِنْ " نَاطِرَاتِ " عَلَيْكَ المَسَاءِ وَالصُّبْحِ بِالشَّعْرِ والأَدْمُعِ
لَعَلَّ السِّيَاسَةَ فِيمَا جَنَدَتْ عَلَى لاصِقِ بَكَ أَوْ مُدَّعِي
وَتَشْرِيدَهَا كُلِّ مَنْ يَدُّ لِي بِحَبْلِ لَأَهْلَيْكَ أَوْ مَقْطَعِ
لَعَلَّ لِذَلِكَ وَ " كُونَ " الشَّجِيحِ وَلَوْعًا بِكُلِّ شَجِّ مَوْلِعِ
يَدًا فِي اصْطِبَاحِ حَدِيثِ " الحُسَيْنِ " بِلُونِ أُرِيدَ لَهُ مَمْتِعِ
وَكَانَتْ وَلَمْ تَزَلْ بِرُزَّةِ يَدِ الوَاقِعِ المُلْجَأِ الأَلْمَعِ
صَنَاعًا مَتَى مَا تُرِدُ خُطَّةً وَكَيْفًا وَمَهْمًا تُرِيدُ تَصْنَعِ
وَلَمْ تَزَلْ أَزْحَتُ طِلَاءَ " القُرُونِ " وَسِتْرَ الخِدَاعِ عَنِ المَخْدَعِ
أُرِيدُ " الحَقِيقَةَ " فِي ذَاتِهَا بِغَيْرِ الطَّبِيعَةِ لَمْ تُطْبِعِ
وَجَدْتِكَ فِي صُورَةٍ لَمْ أَرَعُ بِأَعْظَمِ مِنْهَا وَلَا أَرُوعِ
وَمَاذَا ! أَرُوعُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِحْمُكَ وَقَفًا عَلَى المِذْبَحِ
وَأَنْ تَتَّقِي - دُونَ مَا تَرْتَائِي - ضَمِيرَكَ بِالأَسْلِ الشَّرِّعِ
وَإِنْ تُطْعِمَ المَوْتَ خَيْرَ البَنِينَ مِنْ " الأَكْهَلِينَ " إِلَى
الرُّضِّعِ

وَخَيْرَ بَنِي " الأُمِّ " مِنْ هَاشِمٍ وَخَيْرَ بَنِي " الأبِّ " مِنْ تُبَّعِ
وَخَيْرَ الصَّحَابِ بِخَيْرِ الصُّدُورِ كَانُوا وَوَقَاءَكَ ، وَالأَذْرَعِ
وَقَدْ سَدَّتْ " ذِكْرَكَ " لَمْ أَنْتَحِلْ ثِيَابَ التُّقَاةِ وَلَمْ أَدْعِ
تَقْحَمَتِ صَدْرِي وَرَيْبُ " الشُّكُوكِ " يَضْحُجُّ بِجَدْرَانِهِ " الأَرْبَعِ "
وَرَانَ سَحَابٌ صَفِيقُ الحِجَابِ عَلَيَّ - مِنَ القَلَاقِ المُفْرَعِ
وَهَبَّتْ رِيَّاحٌ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ " الطَّيِّبِينَ " وَلَمْ يُقْشَعِ
إِذَا مَا تَزَحَّحَ عَنِ مَوْضِعِ تَأْبَسِي وَعَادَ إِلَى مَوْضِعِ
وَجَازَ بِي الشُّكُّ فِيمَا مَعَ " الجُدُودِ " إِلَى الشُّكِّ فِيمَا مَعِي
إِلَى أَنْ أَقَمْتُ عَلَيْهِ الدَّلِيلَ مِنْ " مَبْدَأِ " بَدْمٍ مُشْبِعِ
فَأَسْلَمَ طَوْعًا إِلَيْكَ القِيَادَ وَأَعْطَاكَ إِذْعَانَهُ - المُهْطِعِ
فَنَوَّسَرْتَ مَا أَطْلَمَ مِنْ فِكْرَتِي وَقَوِّمْتَ مَا اعْوَجَّ مِنْ
أَضْلَعِي

وَأَمَنْتُ إِيمَانَ مَنْ لَا يَرَى سِوَى (العَقْلِ) فِي الشُّكِّ مِنْ مَرَجِعِ
بِأَنَّ (الإِبَاءَ) ، وَوَحْيَ السَّمَاءِ وَفِيضَ النُّبُوَّةِ ، مِنْ مَنبُوعِ
تَجَمُّعِ فِي (جَوْهَرِ) خَالِصِ تَنْزَهٍ عَنِ (عَرَضِ) المَطْمَعِ